

الحلقة الثامنة والستون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تناولت موضوع الجاهل وكيفية التعامل معه. وإذا كان بالإمكان الاعتماد عليه في أية مهمة ما. وأنه من المستحيل أن نأخذ أمثالاً جيدة من الجاهل. لكن الحكيم عاد وكشف لنا أنه يوجد رجاء في الجاهل أكثر من الرجاء برجل حكيم في عيني نفسه.

هل تفرط بالأكل يا صديقي؟ وهل تعلم النتائج المضرّة له؟ قد تستغرب هذا السؤال. لكن هذا ما ينصحنا به سليمان الحكيم إذ كتب قائلاً: "أوجدتَ عسلاً فكلّ كفايتك لئلا تتخّم فتتقيأه." (أمثال ٢٥: ١٦) إن الإفراط بالأكل حتى ولو كان العسل أمرّ ضار بالصحة، وهو ما ينصحنا به الأطباء. وفي نفس المقياس يتحدث الحكيم عن العلاقة بين الأقرباء والأصدقاء. إذ كتب قائلاً: "أقلل من زيارة قريبك لئلا يسأم منك ويمقتك." (أمثال ٢٥: ١٧، الترجمة التفسيرية) أليس هذا ما يحدث عملياً عندما يُكثر شخص ما من زيارته إلى قريبه أو صديقه؟ فيتحول الودم إلى صدام وكرهية بينهما. المهم في الموضوع إذن هو الاتزان، إن كان في الطعام أم في العلاقة مع الآخرين. لأن الإفراط في الأكل والاكثار من المكوث عند الأقرباء أو الأصدقاء سيؤديان إلى مشاكل عديدة.

لكن ماذا عن العلاقة مع الإنسان الذي نعلم أنه فاسد وشرير؟ أجابنا سليمان الحكيم بهذا المثل: "عينٌ مكدرةٌ وينبوعٌ فاسدٌ الصديق المنحني أمام الشرير." (أمثال ٢٥: ٢٦) وبتعبير آخر علينا أن لا نتعامل مع الشرير برقة وأن لا نسايره، لأن هذا سيجعل نفوسنا كبئر المياه العكرة، وكالينبوع الفاسد. فحذّر من أي علاقة مع الناس الأشرار.

هل تنفع الأغاني المبهجة في إسعاد القلب الحزين الكئيب يا ترى؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "كنزع الثوب في يوم البرد كخلٍ على نظرون من يغني أغاني لقلبٍ كئيب." (أمثال ٢٥: ٢٠) وبتعبير آخر أنه حتى الأغاني المسرّة لن تجدي نفعاً في إسعاد القلب الكئيب.

صديقي المستمع، تحدّثنا في اللقاء السابق عن الأمثال المتعلقة بالجاهل. وفي حلقة اليوم سنتأمل بالأمثال التي تتناول اللؤماء. بدأ سليمان الحكيم بالحديث عن الفضولي الذي يتدخّل في مشاجرات الآخرين. فكتب قائلاً: "كممسك أذني كلب هكذا من يعبر ويتعرّض لمشاجرة لا تعنيه." (أمثال ٢٦: ١٧) وأيضاً يقول المثل العربي: إن الذي يتدخّل في أمور لا تعنيه، يسمع جواباً لا يرضيه. هكذا الإنسان الذي يتدخّل في مشاجرة أو نقاش لا يعنيه، يكون كمن يثير الكلب ضده، وتكون النتيجة أن جميع الفرقاء المتخاصمين ينقلبون ضده.

ثم كتب سليمان الحكيم عن المازح الساخر فقال: "مثل المجنون الذي يرمي ناراً وسهاماً وموتاً هكذا الرجل الخادع قريبه ويقول ألم ألعب أنا." (أمثال ٢٦: ١٨ و ١٩) إن الذي يمزح مع قريبه خادعاً إياه يكون مثل المجنون الذي يرمي بالنار والسهام والموت. فاحذر صديقي ما نسّميه بالمزح الثقيل.

ثم ينتقل سليمان الحكيم ليصف ما يقوم به النّمام فكتب قائلاً: "بعدم الحطب تنطفئ النار وحيث لا نمام يهدأ الخصام. فحم للجمر وحطب للنار هكذا الرجل المخاصم لتتهيج النزاع. كلام النمام مثل لقم حلوة فينزل إلى مخادع البطن." (أمثال ٢٦: ٢٠-٢٢) إن النميمة والتي تعني إثارة البلبلة والانشقاق بين الأصدقاء، هي من أسوأ الأمور التي يقوم بها الإنسان، وغالباً ما ينتج عنها الخصام والنزاع. ولهذا يشبهها الحكيم هنا بالحطب وبالفحم للنار التي تثير النزاع. مع العلم أن كلام النمام يكون كلاماً معسولاً فينزل مثل لقم حلوة إلى داخل نفس الإنسان.

لكن ماذا عن المرائي الذي يُخفي حقيقة نواياه؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "الشفقان المتوهجتان والقلب الشرير مثل فضة زغل تغطي خزفة. الرجل الماكر يطلي نواياه بمعسول الشفاه. ولكنه يراعي الحقد في قلبه. إن تملّكك بعذوبة حديثه، فلا تأتمنه، لأن قلبه مفعم بسبعة صنوف من الرّجاسات." (أمثال ٢٦: ٢٣-٢٥ الترجمة التفسيرية) إن المرائي الماكر الذي يخدع الآخرين بكلامه المنمّق المعسول يكون كالفضّة المزيفة، وكالذي يطلي نواياه الحقيقية لئلا يُفضح. لكنه في نفس الوقت يكون قلبه شريراً يحمل الحقد في داخله. وهو وإن تملّق الآخرين بعذوبة وطراوته، لكن قلبه يكون مملوءاً بسبعة رجاسات أي بالشر الكامل.

هل يستطيع الإنسان الذي يُخفي بغضه بمكر أن يستمر في إخفائه؟ أجابنا سليمان الحكيم بهذا المثل قائلاً: "من يغطي بغضة بمكر يكشفُ خبثه بين الجماعة." (أمثال ٢٦:٢٦) لا يستطيع المرئي أن يخفي حقيقة نفسه ومهما كان ماكراً إذ لا بد أن يأتي اليوم الذي يُكشف فيه خبثه آجلاً كان أم عاجلاً.

وماذا عن الإنسان الذي ينصب الأفخاخ للآخرين؟ كتب الحكيم قائلاً: "من يحفر حفرة لإيذاء غيره يقع فيها، ومن دحرج حجراً يرتدّ عليه." (أمثال ٢٦:٢٧ الترجمة التفسيرية) وهذا أمر واقعي نجده في ملاحظتنا لأعمال الناس، إذ نجد أن الذي يخطط الشر لغيره، يقع هو نفسه في هذا الشر.

هل الذي يكذب على الآخرين إنما يريد الخير أم الشر لهم؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "اللسان الكاذب يمقت ضحاياه، والفم الملق يسببُ خراباً." (أمثال ٢٦:٢٨ تفسيرية) إن الذي يكذب على الآخرين فهو بالحقيقة يكون كارهاً لهم، وفمه الملق المعسول لا بدّ أن يسبب لهم خراباً.

هل تعلم مستمعي أن خطيئة الكذب هي من الخطايا الهامة الكبيرة؟ فكثيراً ما نكذب في حديثنا ظانين أن هذا مجرد خطيئة صغيرة نقوم بها. لكن الحقيقة أن الله يكره الكذب والكذابين. لا بل إن المخلص المسيح وصف إبليس الشيطان "بالكذاب وأبو الكذاب." (بشارة يوحنا ٨:٤٤) أي والد كل الكذابين. ولهذا دعا الرسول بولس المؤمنين بالمسيح قائلاً: "لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتكم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه." (الرسالة إلى كولوسي ٣:٩ و١٠) إن الكذب هو من صفات الإنسان الشرير الفاسد، ولهذا على المؤمن بالمسيح أن يتجنبه.

ألا تود مستمعي أن تتحرر من عادة الكذب البغيضة؟ لما لا تأتي اليوم إلى المخلص المسيح الذي وحده يقدر لا أن يحررك من هذه العادة فحسب، بل من كل العادات الشريرة الأخرى، ويجعلك في نفس الوقت إنساناً جديداً يفعل الخير والصلاح. فهل تؤمن بالمخلص المسيح؟